وَمَا ذاكَ إلا غيْرةً أن ينالَها = سوَى كُفئها والربُّ بالخَلْقِ أعْلَمُ
وإنْ حُجبَتْ عنّا بكلِّ كريهة = وحُفّتْ بما يؤذي النفوسَ ويُؤلِمُ
فَلله ما في حَشْوِها من مسرّة = وأصناف لذّات بها نَتَنَعّمُ
ولله بَرْدُ العيشِ بينَ خيامِها = ورَوضاتها والثَغرُ في الروضِ يبْسُمُ
فَللّه واديها الذي هو موعدُ الْـ = ـمَزيدِ لوَفد الحُبِّ لو كنتَ منهمُ
بَذيّالكَ الوادي يَهيمُ صَبابَةً = مُحبٌّ يرى أن الصَّبابَةَ مغنَمُ
وَللهِ أفراحُ المحبّينَ عندما = يُخاطِبُهُم من فوقهم ويُسَلّمُ
ولله أبصارٌ ترى اللهَ جهرةً = فلا الضَّيْمُ يغْشاها ولا هي تَسْأمُ
فيا نَظرةً أهْدَتْ إلى القلبِ نَضْرَةً = أمِنْ بَعْدها يَسْلو المحبُّ المتيّمُ
ولله كمْ من خَيْرَة لو تَبَسّمَتْ = أضاءَ لَها نورٌ من الفَجرِ أعظَمُ
فيَا لذةَ الأبْصارِ إنْ هيَ أقبلَتْ = ويا لذّةَ الأسْماعِ حينَ تَكَلّمُ
ويا خَجْلَةَ الغُصْنِ الرَطيبِ إذا انْثَنَتْ = ويا خَجْلَةَ البَحرَيْنِ حين تَبَسّمُ
فإن كنتَ ذا قلبٍ عليلٍ بحُبّها = فلم يبقَ إلا وصْلُها لكَ مَرْهَمُ
ولا سيّما في لَثْمها عندَ ضمّها = وقد صارَ منها تحتَ جيدكَ معْصَمُ
يَراها إذا أبْدَتْ لهُ حُسْنَ وجْهها = يلذُّ بها قبلَ الوصالِ وَينْعَمُ
تفَكّهُ منها العينُ عند اجتلائها = فواكهَ شَتّى طلعُها ليسَ يُعْدَمُ
عناقدَ من كرْمٍ وتُفّاحَ جَنّةٍ = ورُمانَ أغْصانٍ بها القلبُ مُغْرَمُ
وللوَرْدِ ما قدْ ألْبَسَتْهُ خُدودها = وللخَمْرِ ما قد ضَمّهُ الرّيقُ والفَمُ
تَقَسّمَ منها الحُسْنُ في جَمْعِ واحدٍ = فيا عَجَبًا من واحدٍ يتَقَسّمُ
تُذكّرُ بالرحمنِ من هو ناظرٌ = بجملتها أنّ السُّلُوّ مُحَرّمُ
لَها فرَقٌ شَتّى من الحُسْنِ أُجْمعَتْ = فينطَقُ بالتّسبيحِ لا يتَلَعْثَمُ
إذا قابلَتْ جيشَ الهُمومِ بوجْهها = تولّى على أعقابه الجيشُ يُهْزَمُ
ولَمّا جرَى ماءُ الشبابِ بغُصْنِها = تَيَقّنَ حقًا أنّهُ ليسَ يُهْزَمُ

فيَا خاطبَ الحسْناء إنْ كُنْتَ راغبًا = فهذا زمانُ المَهْرِ فهو المقدّمُ
وكنْ مُبْغضًا للخائنات لحبّها = فتحظى بها من دونهنّ وتنعمُ
وكنْ أيّمًا مما سواهاَ فإنها = لمثلكَ في جنات عدن تأيّمُ
وصمْ يومَك الأدْنى لعلكَ في غد = تفوزُ بعيد الفطْرِ والناسُ صُوّمُ
وأقدمْ ولا تقْنَعْ بعيْشٍ مُنَغّصٍ = فما فازَ باللّذاتِ مَن ليس يقدمُ
وإنْ ضاقت الدنيا عليكَ بأسرِها = ولم يكُ فيها منزلٌ لكَ يُعلَمُ
فحيّ على جنات عدْنٍ فإنّها = منازلكَ الأولى وفيها المخيّمُ
ولكننا سَبْيُ العَدوّ فَهل ترى = نعودُ إلى أوطاننا ونسلّمُ
وقد زعموا أن الغريبَ إذا نأى = وشطّتْ به أوطانُه فهو مؤلمِ
وأيُّ اغتراب فوق غربَتنا التي = لها أضحت الأعداءُ فينا تَحَكّمُ
وحيّ على روضاتها وخيامها = وحيّ على عيشٍ بها ليس يُسْأمُ
وحيّ على السوق الذي فيه يلتقي الْـ = ـمُحبّون ذاكَ السوق للقوم يُعلَمُ
فما شئتَ خذْ منه بلا ثمنٍ لَه = فقد أسلفَ التجار فيه وأسلمُوا
وحيّ على يوم المزيد الذي به = زيارةُ ربّ العرش فاليوم موسمُ
وحيّ على وادٍ هنالكَ أفْيح = وتُرْبَتُهُ من أذفرِ المسك أعظَمُ
منابر من نورٍ هناك وفضة = ومن خالصِ العقْيانِ لا تتفصّمُ
ومِنْ حولِها كثبانُ مِسْكٍ مقاعدٌ = لمن دونهم هذا العطاءُ المفخّمُ

يرونَ به الرحمنَ جلّ جلالُه = كرؤية بدر التّمّ لا يُتَوَهّمُ
وكالشمس صحْوًا ليس من دون أفْقها = سَحابٌ ولا غيمٌ هناكَ يغيّمُ
فبينا همُ في عيشهم وسرورهم = وأرزاقُهُم تجرى عليهمْ وتُقْسَمُ
إذا همْ بنور ساطعٍ قد بدا لهمْ = سلامٌ عليكم طبْتُم ونَعمْتُمُ
سلامٌ عليكمْ يَسمعونَ جميعُهُم = بآذانهم تسليمُهُ إذْ يُسَلّمُ
يقولُ : سلوني ما اشْتَهَيْتُمْ فكلُّ ما = تُريدونَ عندي إنني أنا أَرْحَمُ
فقالوا جميعًا نحن نسألكَ الرِّضا = فأنتَ الذي تُولي الجميلَ وتَرْحمُ
فيُعطيهمُ هذا ويُشهِدُ جَمْعَهمْ = عليهِ تعالى اللهُ فاللهُ أكرمُ

فَبالله ما عُذْرُ امرئٍ هو مؤمنٌ = بهذا ولا يَسعى له ويقدّمُ
ولكنمَا التوفيقُ باللهِ إنّهُ = يَخصُّ به مَنْ شاءَ فضلا ويُنْعِمُ
فيا بائعًا هذا ببَخْسٍ مُعَجّلٍ = كأنكَ لا تدري بل سوفَ تَعْلَمُ
فقدّمْ فدَتْكَ النفسُ نفسَكَ إنّها = هي الثمنُ المَبْذولُ حين تُسَلّمُ
وخضْ غَمَرات الموت وارْقَ معارجَ الْـ = ـمحبّة في مرضاتهم تتسنّمُ
وسلّمْ لَهُم ماَ عاقَدُوكَ عليه إنْ = تُرِدْ منهُمُو أَنَ يَبْذُلُوا ويُسَلّمُوا
فماَ ظفرتْ بالوصْلِ نفسٌ مَهينَةٌ = ولا فازَ عبْدٌ بالبَطالَة يَنْعَمُ
وإنْ تكُ قد عاقَتْكَ سُعْدَى فقَلْبُكَ الْـ = ـمُعَنّى رهينٌ في يَدَيْها مُسَلّمُ
وقد ساعدتْ بالوصل غيرَكَ فَالهوى = لها منْكَ والواشي بها يَتَنَعّمُ
فدَعْها وسَلِّ النفسَ عنها بجَنّة = من العلم في روضاتها الحقّ يَبسُمُ
وقد ذُلّلَتْ منها القُطُوفُ فَمَنْ يُرِدْ = جَناها يَنَلْهُ كيفَ شاءَ ويَطْعَمُ
وقدَ فُتحَتْ أبْوابُها وتَزَيّنَتْ = لخُطّابها فالحسْنُ فيها مُقسّمُ
وقدْ طابَ منها نُزْلُها ونَزيلُها = فَطوبَى لمَنْ حلُّوا بها وتنَعّمُوا
أقامَ على أبوابها داعي الهُدَى = هَلُمّوا إلَى دار السَّعادة تَغْنَمُوا
وقد غرسَ الرحمنُ فيها غراسَهُ = من الناسِ والرحمنُ بالخَلْقِ أعْلَمُ
ومَن يَغْرِسِ الرحمنُ فيها فإنّه = سعيدٌ وإلا فالشّقاءُ مُحتّمُ

كاتب المقالة : ابن القيم الجوزية
تاريخ النشر : 04/10/2011
من موقع : موقع الشيخ الدكتور/ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com